



بالأبيض

مريم ميرزاده

كاتبة وفنانة تشكيلية ومترجمة - إيران

اليوم أعلنوا وفاته... في البداية تلقى الخبر كما الآخرين! ثم بدأ يدرك الأمر؛ إنه ميت!! يحاول أن يصرخ: «كيف أموت وغداً يتم تنصبي ملكاً؟! أنا لا زلت صغير السن! بالأمس كنت في منتجعي الخاص أستجم، أنا لست مريضاً، تنتظري عائلتي، أيقظوني، ماذا حصل؟! افعلوا شيئاً، أحضروا كبير أطباء الصرح أيها الحمقى، أين أبي؟ نادوا عليه».

لم تجد صرخات استغاثته نفعاً، أخذ يرتفع عن سطح الأرض، لكنه كلما جاء يرتاح ويستسلم للتخليق، يجد أحد الرجال يدوس فوق عنقه، يعيده أرضاً. يتوجع من أثر السقطة، ولا مغيث.

يعود الارتفاع، هو لا يمكنه السيطرة على الأمر... يعلو بطريقة لا إرادية مثل بالون انتفخ بالهيليوم، ما إن يقارب سطح الغيم حتى يظهر الرجل ذو اللباس الأبيض، ويدوس عليه مجدداً. هذه المرة لا يسقط، يدنو من الأرض قليلاً ليعود عدة نساء

ورجالٍ بالرداء الأبيض ويدوسوا فوق عنقه ورأسه، يدوسون بطريقة قاسية لا ترحم، أهل الأرض ما عادوا يسمعون ولا ينظرون إليه... هو لم يفهم بعد.

يعود إلى الارتفاع في حالة من الضياع والنزاع المضي، أعداد الأشخاص الذين ينتظرون دورهم في الدوس على رقبتهم تزداد دون أن يفهم؛ امرأة تدوس بكل قواها على بطنه، رجل يرتطم بقوة بظهره، فيشعر بانقصامه عند الوسط، آخر يدوس فوق رأسه، سيده أخرى تدوس فوق صدره، يخنق، يواصل الاختناق دون أن يموت... يخنق عدة مرات تحت أقدامهم، يموت عدة مرات؛ ينازع، يحتضر، ثم يعود إلى الحياة، ليتوالى عدد جديد من الأفراد الدوس عليه، لا يسمحون له بالتخليق. موته يتكرر، تفوح منهم رائحة ورد زكية، لا يشبه ورود الأرض.

كان يقف بينهم عمي، على ثغره ابتسامته التي عهدتها، تقدم نحوه، جلس فوق صدره، جعله يخنق من جديد، تكسرت ضلوعه، شعر بالأمر برمته، توقف قلبه. بعض الجراح تؤدي الميت. تميته من جديد، كان

عمي يتسّم وهو ينظر إليه منازعاً. حتى اسود وجهه، وتبدلت ملامحه، وبرزت رقع زرقاء على جبهته ووجهه.

ترأت للقاتل الكعبة بين حشد الأفراد ذوي الرداء الأبيض، ثم تباعد الأفراد، وبدأت آلاف الحجارة الصغيرة السوداء تخرج متجهة صوب عينيه. كان ثمة فتیان وفتيات وشباب

وشابات بثياب سوداء يحملون الحجارة، يرمونه بلا توقف، حتى أصيب بالعمى... ظل على حاله يتوجع دون أي موت؛ وجعاً لا متناهياً، حتى استحال جسده عاموداً من حجر. لا يتوقف عن الألم والنزف.

لا زال عمي يتسّم ويستنشق نفساً عميقاً برائحة الورد، ينظر إلى الحجارة في أيدي أبنائه، ثم إلى أثر الدمع في ملامح زوجته، ويهمس:

«الآن أتممت حج بيتك ربي.. لبيك اللهم لبيك...».

أفقت من نومي، وأنا أذكر إجابة عمي على سؤالي «كيف حالك؟»:

«أخبريهم كم أني في سلام..».